هل يفرز السلام السوداني دولة 'إفريقية' جديدة؟!

07-1-2004

واتفاق السلام الذي توصل إليه الفرقاء في السودان، إنما يستجيب لحاجات دولية وإرادة أمريكية ضاغطة أكثر من كونه تمخض عن خطة شاملة وتصور متكامل مقبول لمختلف القضايا الجوهرية المطروح على طاولة النزاع أو التفاوض، ولكن لماذا الاتفاق يشكل خطوة ملحة وحيوية بالنسبة لواشنطن؟

لا يمكن عزل ما حدث من اتفاق سوداني للسلام بين المركز والأطراف الجنوبية عن المشهد العالمي الخاضع –إلى كبير- للهيمنة الأمريكية، فبعد أن كسبت أمريكا الحرب في أفغانستان والعراق، وأخفقت في بسط السلم والإستقرار، تحاول تحقيق "إنجازات" في مناطق أخرى (السودان، إيران، ليبيا، الصحراء الغربية..) من خلال تسوية الملفات الشائكة والعالقة، لإسناد الرئيس بوش في حملته الانتخابية لعهدة رئاسية ثانية، واتفاق السلام الذي توصل إليه الفرقاء في السودان أو بالأحرى حكومة الخرطوم مع حركة التمرد في الجنوب، إنما يستجيب لحاجات دولية وإرادة أمريكية ضاغطة أكثر من كونه تمخض عن خطة شاملة وتصور متكامل مقبول لمختلف القضايا الجوهرية المطروح على طاولة النزاع أو التفاوض، ولكن لماذا الاتفاق يشكل خطوة ملحة وحيوية بالنسبة لواشنطن؟، أولا، باعتباره ورقة انتخابية يستند إليها بوش في حملته، ثانيا، الضغط الذي مارسته جماعات ضغط نصرانية في أمريكا على بوش (خاصة وأن بينهما روابط دينية قوية) لتمكين حركة جون قرنق من بسط حكمه على الجنوب (الاستقلال الذاتي) وتقاسم الثروة والسلطة مع الشمال المسلم!، الثالث، النفط، إذ إن العنصر الذي أضفى على الصراع أبعاده الإقليمية الأوسع نطاقا والأخطر شأنا في قضية الموارد يبرز المورد الأهم والأثمن: البترول، فبعد كان النفط عاملا مفككا، أصبح عنصر تقريب.

وبقطع النظر عن الملابسات التي صاحبت الاتفاق وكذا الحسم السريع والمفاجئ والجزئي للملفات العالقة بين الطرفين، وغياب القوى السياسية الأخرى عن مفاوضات السلام، وحصر الاتفاق على مناطق (المركز والجنوب) دون أخرى (كالشرق مثلا)، فإن الاتفاق -وإن ثمنه السودانيون على اختلاف توجهاتهم- يحمل في طياته بذور ظهور دول إفريقية أخرى في جنوب السودان بعد ست سنوات من الآن، إذ ينص الاتفاق على أنه يحق للجنوب أن يقرر مصيره عبر استفتاء عام بعد ست سنوات من العمل ببنود المعاهدة.

إن أمريكا عندما تريد أن تفرض حربا على بلد، فإنها تهيئ لها أسبابها بصرف النظر عن مشروعيتها وصدقها، وعندما تريد أن تفرض سلام على بلد آخر، فإنها تجمع الفرقاء وتختصر المسافات والزمن وتختزل القضايا، ولو على حساب الخطة الشاملة ومصير البلد والوضع الإقليمي.

ومن المتوقع أن تشهد الأشهر القادمة زخما بشأن "جوائز" اتفاقية السلام السودانية، فكما أن من شارك في الحرب من الحلفاء يُجازى بعقود مربحة لإعادة الإعمار، فإن من طوى الملفات وسارع إلى "السلم" الجزئي، تُسلم له هدايا مغرية، كإعفائه (السودان) من ديونه مع أمريكا والمعونات الأوروبية. وإن أهم ما يلفت الانتباه أن السودان تُرك يصارع ويتفق لوحده بعيدا عن الحضور العربي (مصر تحديدا)، رغم أن أحد الأطراف المتضررة باقسام السودان إلى دولتين هي مصر، وما يشكله هذا من تهديد استراتيجي على دول جوار السودان. إن تقريرا سريا للأمم المتحدة صدر من سنتين تقريبا، توقع عبر الدراسة والتحليل أن تظهر عددا من الدول الجديدة خلال الألفية الثالثة، ولعل القارة السمراء ستشهد ميلاد بعض منها، قد يكون أحدها دولة جنوب السودان؟؟!